مجلة عربية علمية دعوية ثقافية تصدر فصليا
عن جامعة دار العلوم كراتشي

البلاغ

العدد-١
السنة الاولى

رجب - شعبان
رمضان ١٤٣١هـ

- قانون التمايز بين الأمم
- الاجتهاد
- لفظ العِلم و"السائنس"
- آداب المعاشرة
- لمحة تاريخية حول شبه القارة الهندية

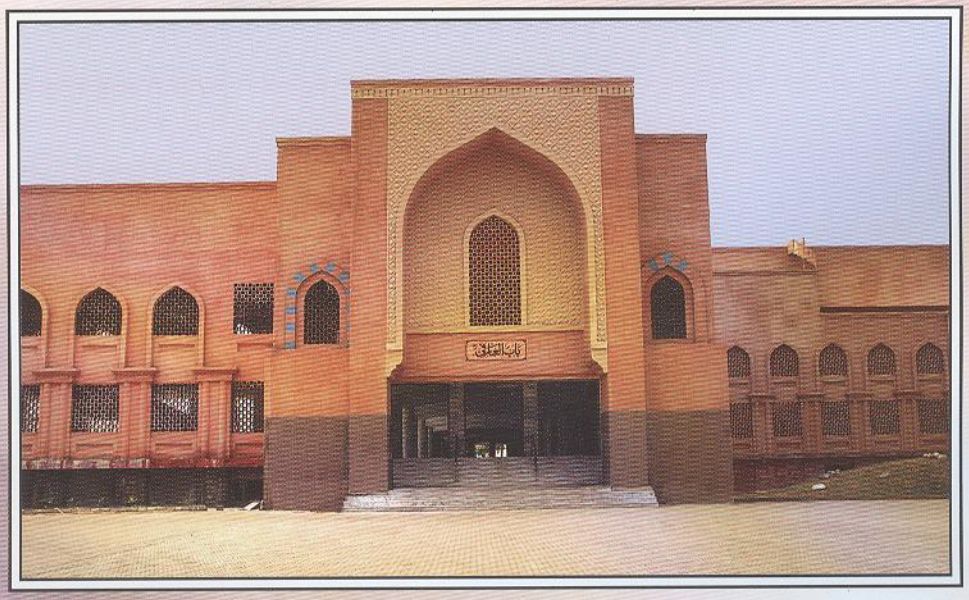

البوابة الشمالية للمسجد الجامع بدار العلوم كراتشي المسماة (باب العارفي)

مؤسس الجامعة
العلامة المحقق البارع الشيخ المفتي محمد شفيع رحمه الله تعالى
المفتي الأكبر في ديار باكستان سابقا

هٰذا بلاغٌ للناسِ

ترجمان جامعة دار العلوم كراتشي

مجلة البلاغ

كراتشي

العدد: ١ المجلد: ١

رجب - شعبان - رمضان ١٤٣١هـ

تحت إشراف ورعاية

فضيلة الشيخ المفتي محمد رفيع العثماني حفظه الله تعالى

فضيلة الشيخ المفتي محمد تقي العثماني حفظه الله تعالى

مجلس الإدارة

فضيلة الشيخ المفتي محمود اشرف العثماني

فضيلة الشيخ عزيز الرحمن

فضيلة الشيخ ساجد الرحمن

فضيلة الشيخ محمد زبير اشرف العثماني

فضيلة الشيخ محمد عمران اشرف العثماني

فضيلة الشيخ محمود التونسي

الاشتراكات

ثمن النسخة..... ٦٠ روبية

الاشتراك السنوي داخل الدولة

بواسطة البريد العادي..... ٢٢٥

بواسطة البريد المسجل..... ٣٠٠

الاشتراك السنوي خارج الدولة

أمريكا/ أستراليا/ أفريقيا ودول أوروبا..... ٣٥ دولار

السعودية العربية/ الهند/ الإمارات العربية المتحدة..... ٢٧ دولار

إيران وبنغلاديش..... ٢٥ دولار

عنوان المراسلات

مجلة "البلاغ" جامعة دار العلوم
كراچي كورنگی انڈ سٹریل ایریا كراچي ٧٥١٨٠

الهاتف

٣٥١٢٣٢٢٢
٣٥٠٤٢٢٨٠
٣٥٠٤٩٧٧٤-٦

رقم الحساب الجاری
٠٣٦-١٦٧
Meezan bank
Korangi Industrial Area, branch, Karachi

Email No.:
albalagh_ue@cyber.net.pk
www.darululoomkarachi.edu.pk

الناشر: محمد تقي العثماني

طباعة: زمزم كراتشي

المحتويات

الصفحة

- كلمة رئيس التحرير..... ٣
  فضيلة الشيخ المفتي محمد تقي العثماني حفظه الله تعالى.

- **التفسير المتسلسل**

سورة الفاتحة من معارف القرآن..... ٧
المفتي محمد قاسم القاسمي

- **علم وبحث**

إطلاق لفظ "العلم" على "السائنس"..... ١٨
فضيلة الشيخ المفتي محمد رفيع العثماني حفظه الله تعالى

الاجتهاد وحقيقته..... ٢١
فضيلة الشيخ المفتي محمد تقي العثماني حفظه الله تعالى
ترجمة: محمد فراز سكندر (متخصص في قسم الدعوة والإرشاد)

عبودية الإنسان لله تعالى في ضوء القرآن والسنة النبوية..... ٣١
د.ساجد الرحمن الصديقي

- **ترجمة وتعريب**

تدوين الحديث..... ٤٣
عبدالحي الشترالي (متخصص في قسم الدعوة والإرشاد)

آداب المعاشرة..... ٤٦
أ.شمس الحق الكراتشوي

قانون التمايز بين الأمم..... ٥٦
أ.محمود بن علي التونسي/ أ.مبارك شاه الشترالي

- **أوضاع ومواقف**

ظاهرة الرسوم..... ٦٦
أ.طاهر صديق الأركاني

فهل إلى خروج من سبيل..... ٦٩
أ.أبو حذيفة حسين قاسم

- **تاريخ وأدب وشخصيات**

لمحة تاريخية عن شبه القارة الهندية..... ٧٣
أ.محمود بن علي التونسي

والله إني لا أعلم عمري فكيف أعلم عمرك؟..... ٨٣
طلبة قسم التخصص في الدعوة والإرشاد (السنة الأولى)

مؤسس أزهر الهند..... ٨٥
عبدالله منصور الكراتشوي (متخصص في قسم الدعوة والإرشاد)

رئيس التحرير

فضيلة الشيخ المفتي محمد تقي العثماني
دامت بركاتهم العاليه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على رسوله الكريم، وعلى آله وأصحابه أجمعين وعلى كل من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

قد حان بفضل الله تعالى وحسن توفيقه أن نقدّم هذا العدد الأوّل من مجلّة "البلاغ" العربية التي كان إصدارها من أعزّ أمنيّاتنا منذ قديم، ولكن كلّ أمر مرهون بوقته الذي قدّره الله تعالى له، ونسأل الله سبحانه أن يوفقنا لخدمة الإسلام والمسلمين من خلال هذه المجلّة الجديدة الربع سنوية التي تصدرها جامعة دارالعلوم كراتشي.

ومن منن الله سبحانه وتعالى على شبه القارة الباكستانية والهندية أن فيها شبكة مباركة من المعاهد والجامعات الدينية الشعبية التي تعنى بتدريس العلوم العربية والإسلامية في جو طلق، بعيد عن الضغوط السياسية أو الخارجية، حيث يتلقى الطلاب دروس التفسير والحديث والفقه والعلوم المتعلقة بها لدى أساتذة يبذلون قصارى جهدهم لاقتفاء آثار علماء السلف في مظهرهم ومخبرهم، ولتدريس هذه العلوم على طريقتهم العتيقة التي أخرجت في ماضينا المجيد جهابذة في كل مجال من مجالات العلم والحمد لله.

وكانت دارالعلوم بديوبند التي تلقب "أزهر الهند" هي بمثابة الجامعة الأمّ لهذه المعاهد والجامعات المبثوثة في مشارق القارة ومغاربها. وإن دارالعلوم بكراتشي التي

تتشرف اليوم بإصدار هذه المجلة تعتبر من أكبر هذه الجامعات الدينية الشعبية في باكستان، أسسها العلامة الفقيه الداعية الكبير الشيخ محمد شفيع، كبير المفتيين في هذه الديار، رحمه الله تعالى رحمة واسعة، في سنة ١٣٧١هـ ولا تزال منذ ذلك الوقت تخدم العلوم الإسلامية وطلابها بهدوء وتركيز، أخرج آلافا من العلماء الذين لهم إنجازات كبيرة، ومساهمات فعالة في مجالات التعليم والدعوة والتأليف والإفتاء والصحافة الإسلامية، ليس في باكستان فقط، بل في البلاد المختلفة التي يوجد فيها المسلمون، والحمد لله.

وبجانب تدريس العلوم على مستويات مختلفة، بدأ من روضة الأطفال والدراسات الابتدائية والثانوية والعالية وانتهاء إلى العالمية والتخصصات في الفقه والإفتاء والدعوة والإرشاد، للجامعة نشاطات أخرى في مجالات التحقيق والتأليف والدعوة والتدريب، ومن جملة هذه النشاطات إصدار مجلتي "البلاغ" الشهريتين بالأردية والإنجليزية، ونضيف إليهما الآن مجلة "البلاغ" العربية بتوفيق الله سبحانه وتعالى.

ولا يُستغرب التساؤل ههنا: ما هو الغرض من إصدار هذه المجلة الجديدة؟ وما هي الفائدة المنشودة من إضافة مجلة عاديّة إلى كومة من المجلات والصحف التي تملأ المكتبات كلّ شهر؟ وبعبارة أخرى: ما هي القيمة المضافة التي يمكن أن نقدّمها من خلال هذا الإصدار الجديد؟

الواقع أن هذا السؤال الوارد لم يغب عن بالنا، والحمد لله، عند ما وضعنا الخطة لهذه المجلة العربية. والخدمة التي نقصد أن تتميز بها المجلة، إضافة إلى مقالات عادية، تحتاج لى شيء من الشرح:

إن اللغة الأردية من أثرى لغات العالم بعد العربية من ناحية مكتبتها الإسلامية التي تتألف من المؤلفات والبحوث والمقالات التي كتبت في العلوم الدينية، وذلك بفضل

العلماء العباقرة الذين وقفوا حياتهم لنشر علوم الدين في شبه القارة الهندية والباكستانية، وإن مؤلفاتهم العربية، خاصه في علوم الحديث، مثل إعلاء السنن، وفتح الملهم بشرح صحيح مسلم، وبذل المجهود في شرح أبي داود، وأوجز المسالك شرح موطأ مالك، ومعارف السنن، شرح جامع الترمذي وغيرها من شروح الحديث حازت الثناء والقبول من قبل أهل العلم في جميع أنحاء الوطن الإسلاميّ. والواقع أن أعمالهم العلمية باللغة الأرديّة أكثر منها بكثير، ولكنها ظلت مخفيّة على غير الناطقين باللغة الأردية، لندرة من يفهم هذه اللغة خارج شبه القارة. ولا شك أنها لو انتقلت إلى اللغة العربية لكان نفعها أعمّ وأشمل. وقد وجدت في كثير من أهل العلم في البلاد العربية شوقا إلى الاطلاع على هذه المؤلفات، وقد طلب مني كثير من إخواننا العلماء في البلاد العربية أن نهـتم بتعريبها حتى يتمكنوا من الاستفادة منها.

وإنجازا لهذه الحاجة، فقد أردنا أن تكون ميزة هذه المُجلة الجديدة أن تقوم بنقل هذه الإفادات العلمية إلى اللغة العربية، إما بتعريبها أو بتلخيصها أو بعرضها في ثوب جديد يُلائم مذاق العصر.

وقد بدأنا في هذا العدد تعريب تفسير " معارف القرآن" لوالدنا العلامة الفقيه الشيخ المفتي محمد شفيع رحمه الله تعالى مؤسس دارالعلوم كراتشي. وهو تفسير ألفه الشيخ في ستة مجلدات ضخام، وقد اهتمّ فيه ببيان أسرار القرآن الكريم وما يُستنبط منه من دروس عملية حيوية يحتاج إليها كل مسلم في حياته اليوميّة. وإن هذا التفسير من أكثر التفاسير انتشارا في شبه قارتنا، لأنه يشرح مفهوم كتاب الله العزيز ببيان واضح سهل التناول في جانب، ويخاطب المسلم المعاصر في جانب آخر بما يفتح ذهنه لتفهم أسراره ومعارفه ورسالته الخالدة التي تساير حياته في كل زمان ومكان. وكم طلب مني العلماء في البلاد العربية أن ينقل هذا التفسير إلى اللغة العربية ليعمّ نفعه سائر البلاد الإسلامية. فالتمست من ثلّة من العلماء ــ وأبرزهم فضيلة الشيخ محمد قاسم حفظه الله تعالى، خرّيج دارالعلوم كراتشي والأستاذ الكبير في جامعة دارالعلوم زاهدان

ـــأن يقوموا بتعريب هذا التفسير، وقد شرعوا فيه والحمد لله تعالى بجد ونشاط. ونريد أن نبدأ بنشره في هذه المجلة. وستجدون في مطلع هذا العدد أول قسط من هذا العمل الجليل إن شاء الله تعالى وجزى الله تعالى القائمين به أحسن الجزاء. وكذلك تجدون في هذا العدد تعريب مقال آخر لحضرة الشيخ المفتي محمد شفيع رحمه الله تعالى. وهكذا نحاول أن يكون كل عدد من هذه المجلة محتويا على ترجمة بعض المؤلفات أو البحوث الأردية لعلماء هذه البلاد. وهذا بالإضافة إلى بحوث جديدة في قضايا العصر التي تتجدد كل حين. ومقالات دعوية وتربوية تفيدنا في ترشيد حياتنا اليومية، ولقطات من الأنباء والمعلومات التي نرى من المفيد أن نزود بها القارئين. ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لما فيه رضاه، ويسدّد خطانا ويهدينا إلى سواء السبيل. إنه سميع قريب مجيب الدعوات وما توفيقنا إلا به، عليه توكلنا وإليه ننيب.

المترجم:فضيلة الشيخ المفتي بدارالعلوم زاهدان
محمد قاسم القاسمي ـ حفظه الله تعالى ـ

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير "معارف القرآن" أحد أهم الكتب التفسيرية من بين تفاسير المعاصرين الذي يجمع بين مقتضيات العصر ومتطلباته، والتراث الموجود بين الكتب التفسيرية القديمة، وقد ألف هذا التفسير الفقيه المفسر المفتي بديار باكستان سابقا الشيخ محمد شفيع ـ رحمه الله ـ أحد كبار تلامذة الشيخ حكيم الأمة أشرف علي التهانوي، ورئيس المفتين في جامعة دارالعلوم بديوبند، ومن مؤسسي باكستان.

وقد ألف هذا التفسير باللغة الأردية، وكان هناك طلب لنقله إلى اللغة العربية، فقام فضيلة الشيخ محمد قاسم القاسمي ـ حفظه الله ـ رئيس قسم الإفتاء وأستاذ الحديث والمشرف على معهد اللغة العربية بجامعة دارالعلوم بزاهدان بتعريبه من الأردية إلى العربية؛ لتنتفع الأوساط العلمية في البلاد العربية بهذا الكتاب العظيم النافع الوافي بحاجات العصر، وما تمّ تعريبه من فضيلة الشيخ موجود على موقع "سنّي آن لائن" أيضا نسأل الله تعالى أن ينفعنا وإياكم.

سورة الفاتحة وتفسيرها

أبتدأ باسم اللّه الرحمن الرحيم. **الحمدلله رب العالمين**، كل ثناء جميل فهو للّه تعالى، إذ هو الذي يسوس العالمين من مبدأهم إلى نهايتهم، ويراد بالعالمين جميع الموجودات، فكل نوع من المخلوقات عالم؛ يقال عالم الإنسان، وعالم الملائكة، وعالم الجن، وعالم الحيوان.

الرحمن الرحيم:الرحمن: المفيض للنعم المحسن على عباده بلا حصر ولا نهاية. الرحيم: دائم الرحمة أو تام الرحمة.

فضيلة الشيخ محمد رفيع العثماني
المفتي الأعظم بجمهورية باكستان الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه مقالة قدّمها فضيلة المفتي الشيخ محمد رفيع العثماني ـ حفظه الله ـ المفتي العام بجمهورية باكستان الإسلامية، و رئيس جامعة دارالعلوم كراتشي، في المؤتمر الدولي الأول المنعقد في ١٨ـ ٢١ أكتوبر ١٩٨٧م، بإسلام آباد تحت إشراف الجامعة الإسلامية العالمية ورابطة العالم الإسلامي، بمكة المكرمة حول موضوع "الإعجاز العلمي في القرآن والسنة".

وتحدث فضيلته ـ حفظه الله ـ في المقالة عن "إطلاق لفظ " العلم" على السائنس "، وأعرب عما يوافق اصطلاح القرآن والسنة، وما لا يوافقه، وقارن بينهما مقارنة ناقدة في ضوء كتاب الله ـ عزوجل ـ وأقوال المفسرين ـ رحمهم الله ـ وأبان أن إطلاقه على "السائنس" اصطلاح حادث، يؤدي إلى نتائج خطرة، من مخالفة الكتاب والسنة، وعُرف المسلمين، وإساءة الأدب مع السلف الصالحين ـ رحمهم الله ـ كما قدم بعض الا قتراحات في صدد ذلك، ولم ينقص فضيلته من منزلة السائنس وخبرائه، بل اعترف بأن له أهمية وخطورة، وأن الاشتغال والاعتناء به فريضة من فرائض المسلمين على الكفاية.

وأكد على أن يوضع كل شيء موضعه ، ويُلتزم الاحتراز عن التلبيس في اصطلاح القرآن والسنة واجتناب التحريف في اللغة العربية الحبيبة.

إطلاق لفظ "العلم" على "سائنس"

ملاحظة واقتراح

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونصلي على رسوله الكريم وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ـ وبعد:

فمن مخترعات هذا الزمان ـ ولا يبعد أن يكون من ـ مؤامرات المستشرقين ـ أن في كثير من الندوات العلمية جعل عدد من الباحثين المسلمين يطلقون لفظ "العلم" على "علوم الطبيعة" من غير قيد، ولفظ "العالم" على سائنتيست (Scientist) كذلك-

وإنما أخذوا يستعملون هذا اللفظ ترجمة للكلمة الإنجليزية "سائنس" (Science)، وإن هذه الكلمة الإنجليزية وإن كانت موضوعة في أصل اللغة لكل علم سواء كان علما من علوم الطبيعة أو من غيرها، ولكنها حينما تستعمل مطلقة من غير قيد فإنه يراد بها في الغالب علوم الطبيعة فقط وذلك لأن مطلق العلم له لفظ آخر في اللغة الإنجليزية، وهي "نالج" (Knowledge) ولكنهم لما ترجموا كلمة "سائنس" بهذا الاطلاق الخاص، يعني في معنى "علوم الطبيعة" فقط، فقد اختاروا لها كلمة "العلم" بدون أي قيد، وليس لكلمة "العلم" في اللغة العربية مرادف آخر يستعمل في معنى "مطلق العلم"، فلما صارت كلمة "العلم" تستعمل بمعنى علوم الطبيعة ؛ فإن ذلك يشعر بأن العلم منحصر في العلوم الطبيعية، والمادية فحسب. وأنها هي العلوم التي يجدر أن يطلق عليها كلمة "العلم"، وأما العلوم النقلية وعلوم ما بعد الطبيعة، فكأنها ليست علما، وإنما هي ظنون أو أوهام، والعياذ بالله.

ولا شك أن هذا الإطلاق موافق لاعتقاد الماديين الذين انحصر علمهم في الأكوان المادية، ولا تستطيع أفكارهم أن تتطلع إلى ما وراء المادة، ولكنه لا يوافق ما اصطلح عليه القرآن والسنة ؛ فإن الله ـ تعالى ـ مدح العلم وأهله بقوله:﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ (المجادلة: الآية ١١) وأراد به علم الدين والشرائع، وعلم ما يؤدي إلى الإيمان والعمل الصالح ـ كما لا يخفى ـ ومدح الله ـ ﷻ ـ علماء الدين، فقال:﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (فاطر: الآية ٢٨)

دلت هذه الآيات ـ كما بينه المفسرون ـ على أن العلماء عند الله ـ ﷻ ـ هم الذين يؤمنون به ويخشونه، كما قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ ليس العلم بكثرة الحديث، ولكن العلم عن كثرة الخشية (تفسير ابن كثير ـ ٣: ٥٥٤)

وقد فسر ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ لفظ "العلماء" في هذه الآية بقوله "الذين علموا أن الله على كل شيء قدير" (تفسير القرطبي). وقال الربيع بن أنس "من لم يخش

فليس بعالم" (نقله القرطبي تحت هذه الآية). وقال مجاهد ـ رحمه الله ـ " إنما العالم من خشي الله" (نقله القرطبي أيضا)، فأما الذين لا يؤمنون بالله ، ولا يخشونه فليسوا بالعلماء عند الله ـ تعالى ـ وإن كانوا خبراء ببعض علوم الأكوان المادية ـ كما قال تعالى في حق أمثالهم. ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ۝٧ ﴾ (الروم: الآية ٧)، ويلزم بهذا الاصطلاح الحادث أن علماء الكون، وخبراء علوم الطبيعة هم العلماء، وإن كانوا كفارا وفساقا، وهذا يخالف صريح القرآن والسنة. ويلزم بهذا الاصطلاح أيضا أن علماء الدين من المحدثين والفقهاء والمفسرين لم يكونوا علماء ، وإنما العلماء هم خبراء علوم الطبيعة لا غير وبهذا نستطيع أن ندرك أبعاد الخطورة فيما ينتج عن هذا الاصطلاح الحادث من مخالفة القرآن والسنة، ومخالفة ما تعارفه المسلمون كافة قديما وحديثا، كما أنه يتضمن إساءة الأدب مع السلف الصالحين، من العلماء الأعلام الذين هم العلماء حقا. فبناء على ما ذكرت أناشد المسلمين كافة أن يحترزوا من هذا الاصطلاح الحادث الفاسد، ولا يطلقوا لفظ "العلم" على السائنس ولا لفظ "العالم" على خبير العلوم الطبيعية إلا بقيد من القيود والأحسن الأحوط عندي أن يستعمل في اللغة العربية كلمة "سائنس" نفسها، ولا تترجم، كما أن إخواننا العرب كثيرا ما يستخدمون اللفظ الإنكليزي بعينه في محاوراتهم ولا يترجمونه، كقولهم "تلفون" و"تلفزيون" فلا مانع من أن نأخذ لفظ "سائنس" (Science) بعينه فلا حاجة إلى ترجمته، كما أن أهل باكستان والهند أخذوا هذا اللفظ بعينه في لغتهم، ولا يترجمون، وإن كان لا بد من الترجمة، فترجمته إلى "علوم الطبيعة أو إلى "علم الكون " أحسن وأهون من ترجمته إلى " العلم" بدون قيد من القيود-وليس المقصود بهذا تنقيص منزلة "السائنس" وخبرائه فإننا نعترف بأهمية "السائنس" وضرورته حق الاعتراف، بل نقول ونفتي بأن الاشتغال والاعتناء به فريضة من فرائض المسلمين على الكفاية، وبأنه يجب عليهم أن لا يدخروا جهدا في سبيل تحصيله، والتقدم فيه والبراعة في سائر شعبه وفنونه، لأنه من الوسائل اللازمة في هذا الزمان للحفاظ على حرية الإسلام والمسلمين، وإنما المقصود أن نضع كل شيء موضعه، ونحترز عن التلبيس في اصطلاح القرآن والسنة، ونجتنب التحريف في اللغة العربية الكريمة التي هي أمانة الأمة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام.

۞۞۞

الدكتور ساجد الرحمن الصديقي

بسم الله الرحمن الرحيم

عبودية الإنسان لله تعالى
في ضوء القرآن والسنة النبوية

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على حبيبه سيدنا محمد المصطفى.

وبعد: فقد اقتضت حكمة الله عز وجل، أن يخلق أشرف الخلائق وأكرمها في الوجود فخلق الإنسان من طين ثم سواه ونفخ فيه من روحه، فجاء من أجل هذه النفخة الربانية مكرماً مختاراً مريداً، فكان طبيعياً من حيث خلقته المنفردة في الكون أن يكون له دور هام وعمل خاص يقوم به، وهو أن يكون عبداً لله باختياره وإرادته، بينما كانت الخلائق كلها منقادة لله مستسلمة له من دون اختيار لها ولا إرادة.

فالله هو الخالق، والخالق هو المالك، والمالك هو المتصرف في الأمور والفعال لما يريد وإذا كان ذلك كذلك فهو المعبود بحق لا سواه، والإنسان هو العبد الخاضع له، الفقير إليه الخانع الذليل أمامه، ومن هذا ظهر لنا أن العبودية حق قائم على الإنسان، وفريضة واجبة عليه لا يستطيع الفرار عنها، ولا يمكن له أن يرغب عما وجب عليه من حيث خلقته ومن حيث وجوده.

الحاجة إلى بعثة الرسل والأنبياء

ولكن لما كان الإنسان بإدراكه وعقله لا يستطيع أن يعرف ما يجب عليه من واجبات العبودية وما يلزم عليه من فرائضها، أرسل الله إلى الناس بين الفترة والأخرى

رسولا يحمل من الله كتاباً يدعوهم إلى عبادة الله وحده يبشرهم وينذرهم، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

واستمرت الإنسانية في تطورها ورقيها الفكري والوحي يتنزل بمايناسبها ويرشدها إلى ما فيه خيرها وصلاحها، حتى اكتمل نضجها. وأراد الله لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم أن تشرق على الوجود، فبعثه على فترة من الرسل؛ ليكمل صرح إخوانه الرسل السابقين بشريعته الخالدة وكتابه المنزل عليه وهو القرآن الكريم.

"مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلاّ وضعت هذه اللبنة قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين."

فكانت بعثته- صلى الله عليه وسلم -إيذاناً بانتهاء النبوات، وإعلاماً باختتام الرسالات وتبشيراً بإكمال الدين، وإخباراً بإتمام النعمة. ولهذا وجب علينا التأسي بأسوته الحسنة والإقتداء بهديه في أمور حياتنا كلها، وعلى الأخص فيما يتعلق بعبودية العبد لله تعالى، عملا بقول الله عز وجل: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾. الأحزاب: الآية (٢١).

ومن وضع جبهته لله ساجداً، واقتدى بهدي الرسول صلى الله عليه وسلم، في حياته كلها فقد فاز فوزاً عظيماً. والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

ليكون المرء عبداً لله بالإختيار

إن الله سبحانه خلق الأرض ومن عليها، فقال لها وللسموات ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين؛ فخلق الله الكون كله وما فيه من الأشياء والموجودات، وقال لها "كن" فكانت وجبلت على الطاعة والإتيان بالأمر طبعاً لا خيار لها فيه. وخلق الله الإنسان من طين ثم سواه ونفخ فيه من روحه، وقد كرمه بالروح العلوية التي أودعها بين جنبيه، وأعطاه من مواهب الروح والعقل والقدرة ما يمكنه من تحمل أعباء التكليف ما لم يعط أحدا من العالمين.

إن الله تعالى خلق الإنسان وأعطاه كثيراً من المواهب الفكرية والعقلية والروحية ليكون عبداً لله بالاختيارحينما كان الكون كله وما فيه من الموجودات عبيداً لله بالاضطرار. وقد دلت على ذلك آيات كثيرة، منها؛ قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ بني إسراءيل: الآية (٤٤) وقوله : ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ ﴾ مريم: الآية (٩٣) وقد خصّ الله تعالى الجن والإنس بعبوديته، فقال: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾. الطور: (٥٦).

معنى العبادة

والعبادة في اللغة من الذلة، يقال: طريق معبد، وبعير معبد؛ أي مذلل، وفي الشرع عبارة عمّا يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف. (١)والعبادة أعلى مراتب الخضوع ولا يجوز شرعاً ولا عقلا فعلها إلا لله تعالى لأنه هو المستحق لذلك، لكونه موليا لأعظم النعم من الحياة والوجود وتوابعهما، ولذلك يحرم السجود لغيره سبحانه، لأن وضع أشرف الأعضاء على أهون الأشياء وهو التراب وموطئ الأقدام والنعال غاية الخضوع.(٢) وقد روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال قال حبريل لمحمد صلى الله عليه وسلم، قل: يا محمد إياك نعبد، إياك نوّحد ونخاف ونرجو يا ربنا لا غيرك. (٣) والعبودية هي إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها لأنها غاية التذل ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال وهو الله تعالى ولهذا قال: ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾. بني اسرائيل: الآية (٢٣) (٤)

العبادة والعبودية

ولا شك أن العبادة والعبودية مقام عال شريف، يدل على ذلك آيات كثيرة، منها: قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ الحجر: الآية (٩٩) فأمر الله تعالى: محمداً صلى الله عليه

وسلم، بالمواظبة على العبادة إلى أن يأتيه الموت، ومعناه أنه لا يجوز الإخلال بالعبادة في وقت من الأوقات، وذلك يدل على غاية جلال أمر العبادة. ولما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ الحجر: الآية (٩٧) أمره بأربعة أشياء: التسبيح، والتحميد، والسجود، والعبادة، وهذا يدل على أن العبادة تزيل ضيق القلب، وتفيد انشراح الصدر، وما ذاك إلا لأن العبادة توجب الرجوع من الخلق إلى الحق، وذلك يوجب زوال ضيق القلب. (٥)

ومنها قوله تعالى: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" هذه هي الكلية الأساسية التي تنبع منها الشريعة بأسرها، فلا عبادة إلا لله ولا استعانة إلا بالله. وهذا هو مفرق الطريق بين التحرر المطلق من كل عبودية، وبين العبودية المطلقة للعبيد. وهذه الكلية تعلن ميلاد التحرر البشري الكامل الشامل. التحرر من عبودية الأوهام. والتحرر من عبودية النظم المادية، والتحرر من عبودية الأوضاع. وإذا كان الله وحده هو الذي يعبد، والله وحده هو الذي يستعان، فقد تخلص الضمير البشري من استذلال النظم والأوضاع والأشخاص كما تخلص من استذلال الأساطير والأوهام والخرافات. (٧)

ومنها قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ بني اسرائيل: الآية (١) فقد ذكر الله تعالى في هذه الآية صفة العبودية فقال: "أسرى بعبده" لتقريرها وتوكيدها في مقام الإسراء والعروج إلى الدرجات العلى (٧) وروي عن أبي قاسم الأنصاري أنه قال: لما وصل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الدرجات العالية، والمراتب الرفيعة، أوحى الله تعالى إليه يا محمد بم نشرفك ؟ قال بنسبتي إليك بالعبودية، فأنزل الله تعالى: سبحان الذي أسرى بعبده' وقد ورد في الحديث: «قولوا عبد الله ورسوله». (٨)

إعداد الإنسان ليكون عبدا خالصاً لله

وكل ما في الإسلام من تشريع وتوجيه وإرشاد، إنما يقصد به إعداد الإنسان ليكون عبداً خالصا لله، لا لأحد سواه، ولهذا كان روح الإسلام وجوهره هو التوحيد.

ومعنى التوحيد أن يعلم الإنسان أن لا إله إلا الله، وأن يفرده تعالى بالعبادة والاستعانة، فلا يشرك به أحداً، ولا يشرك معه شيئاً. وهذا معنى "إيّاك نعبد وإيّاك نستعين التي يردّدها المسلم في صلواته مرات لا يقل عن سبع عشرة مرة، كلما قرأ فاتحة الكتاب في كل ركعة من ركعات الصلاة. (٩)

الفراغ في فطرة الإنسان

والحقيقة أن في فطرة الإنسان فراغاً لا يملؤه علم، ولا ثقافة ولافلسفة، إنما يملؤه الإيمان بالله عز وجل. وستظل الفطرة الإنسانية تحس بالتوتر والجوع والظمأ، حتى تجد الله وتؤمن به تتوجه إليه.

وذلك لأن في القلب شعثًا لا يلمه إلا الإقبال على الله. وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله. وفيه حزنًا لا يذهبه إلا السرور بمعرفته، وصدق معاملته. وفيه قلقًا لا يسكنه إلا الاجتماع عليه، والفرار إليه. وفيه نيران حسرات لا يطفئها إلا الرضا بأمره ونهيه وقضائه، ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه. وفيه فاقة لا يسدها إلا محبته والإنابة إليه، ودوام ذكره، وصدق الإخلاص له، ولو أعطي الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة أبداً. (١٠)

أصلان كبيران في مجال العبادة

والعبادات الإسلامية – أعني الشعائر التي يتعبد الإنسان بها لله تعالى – عبادات ربانية. فالوحي الإلهي هو الذي رسم صورها، وحدد أشكالها، وأركانها وشروطها، وعين زمانها فيما يشترط فيه الزمان، ومكانها في ما يشترط فيه المكان.

فالإسلام جاء في مجال العبادة بأصلين كبيرين:

الأول: أن العبادة لله وحده، فلا عبادة لأحد سواه، كائناً من كان.

الثاني: أن لا يعبد الله إلا بما شرعه. وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من طرق العبادات. فالعمل المقبول له ركنان : أن يكون خالصاً لله تعالى، وأن يكون على سنة رسول الله.

أوضاع ومواقف

أ.الشيخ: طاهر صديق الأركاني

ظاهرة الرسوم المسيئة

ظاهرة الرسوم المسيئة إلى ذات الرسول ﷺ آخذة في الانتشار هذه الأيام، لعل آخرها ما دعت إليه مواطنة أمريكية من خلال برنامج "فيس بك" الشهير إلى هذا العمل الشنيع، واضطرت حكومة باكستان إلى إيقاف بثه في باكستان استجابة للدعوات والمسيرات الجماهيرية التي كانت تطالب بمنعه، وإنزال أشد العقوبات بحق الجانية. وحتى لحظات كتابة هذه الكلمات وصل خبر مماثل من بنغلاديش التي تأست بباكستان، وأغلقت "فيس بك" فيها.

هذه ليست المرة الأولى التي تجترئ فيها مواطنة أمريكية على مثل هذا العمل، إنما سبقها آخرون من رفقاء دربها ذوي النفوس المريضة، والأفكار الضالة في الدنمرك و النرويج وأقطار أوروبية أخرى منذ سنوات، وبما أن عملهم هذا يناهض كافة الأعراف، والقوانين الدولية، والقيم الإنسانية، والمثل النبيلة، لذلك كان من المتوقع من تلك الحكومات التي ينتسب إليها أولئك الجناة أن يمثلوا بين يدي القضاء لينالوا نصيبهم من العقوبة، لكنها بدلا من ذلك تصدت للدفاع عنهم، فتجرءوا وتشجّعوا لما هو أشنع منه، وتأسى بهم آخرون في دول أخرى.

من خلال ما حصل في الموضوع، لدينا وقفة تأمل، لنتوصل إلى أمور قد تساعد في فهم واقع اليوم.

إن الولايات المتحدة الأمريكية تعتبر نفسها أرقى الدول والشعوب لما تحقق لها من تقدم في جهات عدة، من اقتصاد، وتجارة، وصناعة، وهي دولة ذات تنوع ثقافي، وديني، لكن سلطاتها لم تتحرك لكبح الجانية، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أن قضاءها يفتقر لأبسط القوانين التي تضمن حماية معتقدات الناس، ومشاعرهم من الابتذال، والإهانة بأيدي السقطة الهمج.

ثانيا: دولتا "الدنمارك" و"النرويج" من الدول الأعضاء في المنظومة الأوروبية، حاملة ألوية الكرامة، والشرف، والقيم، والحضارات، والثقافات كما تصف نفسها. لديها سجل حافل بالإنجازات، والأعمال في كافة الميادين الاقصادية، والصناعية، والتجارية، والثقافية، والأدبية والفكرية، وكان من المتوقع من الدولتين وبالتالي من المنظومة الأوربية أن تنزل بحق الجناة عقوبة رادعة يعتبر بهما المعتبرون، لكن الذي حصل هو عكس ذلك. إذ قامت حكومتا الدولتين بالدفاع عن الجناة، ومنحتهم ملاذا آمنا يتحركون فيه بكل حرية وأمن، وهذا يؤكد لنا أن المنظومة الأوروبية كنظيرتها الأمريكية تفتقر لأدنى قانون يضمن حماية الناس في دياناتهم ومعتقداتهم ومقدساتهم.

ثالثا: هيئة الأمم المتحدة المسرح الوحيد الذي كان بإمكانه أن يضع الضّماد على الجروح من خلال الشجب، والتنديد، ومعاقبة الجناة، وأنصارهم بفرض عقوبات اقتصادية، وثقافية،وباتخاذ قرار يقضي بتوجيه ضربة عسكرية إلى تلك الدول التي تمثل الظهير الأيمن للجناة بإجماع أغلب أعضاءها، لكن هذا وذك لم يحصل، كما لم تتجرأ على اتخاذ عقوبة رمزية بطرد الدولتين من عضوية المنظمة الدولية التي تمثل كافة الأعراق، والأجناس، والأديان، لتبرهن على مصداقيتها في لوائحها، وأنظمتها، وقراراتها، وأنه لا مكان للهمج بين الأمم والشعوب المتحضرة التي تدري كيف تحترم مشاعر بعضها البعض.

رابعا: حكومات الدول الإسلامية كان بإمكانها أن تضع حدا لهذه الظاهرة بتفعيل دبلوماسية نشطة تجرى اتصالات مع تلك الدول، وتستخدم نفوذها على الهيئات،

والدول ذات النفوذ القوي في الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي، لمنع الجناة، وليتلقوا قضاء عادلاً، أو باتخاذ قرارات جماعية بفرض عقوبات اقتصادية، وثقافية، وسياسية، ودبلوماسية، وبقطع روابطها مع تلك الدول في كافة الأصعدة والمستويات، لتضطر تلك الدول إلى إنزال عقوبة رادعة بحق الجناة، ولسد الباب أمام كل من تسوّل له نفسه ذلك.

والواقع إن وضعا مليئا باليأس والقلق يطرح كثيرا من الأسئلة، فقد سألني بعض الإخوة الطلاب في الفصل، وقالوا: ما الحل لهذه الظاهرة؟

وما الواجب علينا؟

قلت: إن الإساءة إلى ذات الرسول ﷺ من شيمة النفوس المريضة التي تنتهج أسلوب السب والشتم عند العجز عن الدليل والحجة، وإلحاق الأذى والضرر مباشرة، ولنا في ذلك عشرات الأمثلة في عهد الرسول ﷺ فقد كان عقبة بن أبي معيط ممن يؤذي النبي ﷺ إذا صلى في ظل الكعبة، فكان يحمل كروش الإبل، ويضعها على ظهره ﷺ فلما كان يوم بدر، كان عقبة بن أبي معيط من ضمن من وقع أسيرا بيد المسلمين، فأمر به النبي ﷺ، فأتي به، ثم ضرب عنقه بالسيف.

وهذا عبد الله بن خطل كان يهجو النبي ﷺ في أبياته، فلما كان يوم فتح مكة، تعلّق بأستار الكعبة، فأمر به النبي ﷺ فأتي به، ثم ضرب عنقه بالسيف.

وانطلاقا منها، ندعو كافة الدول والحكومات والأنظمة إلى تقديم الجناة إلى العدالة ليمثلوا أمام القضاء، وينالوا محاكمة عادلة على أعمالهم الدنيئة.

تاريخ

أ. الشيخ: محمود بن علي التونسي

لمحة تاريخية عن شبه القارة الهنديّة

فكرة عامّة حول شبه القارّة قبل دخول الإسلام إليها

ليس من السّهل ولا من الهيّن الحديثُ عن تاريخ أمّة هي من أعرق أمم الأرض جميعاً وأكثرها صُموداً و رُسوخاً أمام أعاصير المِحَن على مَرِّ الدّهور وكرّ العصور، بحيث لو حاولنا نَبْشَ شيء من تُراثها وآثارها لوجدنا أنفسنا أمام كَمٍّ هائل من المجهولات الغامضة، التّي فَضَّلَت الهند أن تُبقيها لنفسها دون أن تُؤثر بها أحداً من العالمين، وفي الآن نفسه نجد أنفسنا أمام جَمٍّ غَفِير من المعلومات الفائضة، وذلك إنّ دَلَّ على شيء فإنّما يدّل على أنّ ما يسمّى بـ"شبه القارة الهندية، بلادٌ ذات حضارة متينة ضاربة في أعماق القِدَم، تَفنّنَ في إنشائها إنسانُ ما قبلَ التّاريخ والقلم وما يسطرون، عندما كانت أعيُنُ الرّقباء والرّصد عنها عُميا، وألسنةُ الوشاة خُرسا، وأفئدةُ المستخبرين غُفْلاً، بَيْدَ أنّ تلك الحضارة التّليدة قد خَطَّتْ لها يدُ الأقدار في زَبور الأزَل أن تقضي نحبها وأداً، بعد أن نعاها دارسُ الرِّمَمِ على شفير قليب الحضارات البائدة، وأن لا تَحْظى بالرَّصْدِ و التّدوين الكافيين في تلك العصور السّحيقة، وبالتّالي حُرِمَتْ شرعيّةَ الخلود لأسباب أُرمَتْ بيّناتها، وعفت رسوماتها، وبقيت مبهمةً دهوراً، ولم يكشف العلمُ الحديث بعدُ عن أسرارها إلا ما شَذَّ ونَدَّ، ولم يصلنا رغم كلّ ذلك إلاّ نُتَفٌ شذرَ مذرَ، قد تُسمن الزّاهدين في معرفة تواريخ الأمم، القانعين عن ممارستها، في حين أنّها قد لا

تُغني شيئا- وبكلّ تأكيدٍ- عن الذين جاسوا خلال الدّيار استكشافا واستنطاقا من الباحثين الشّغوفين بالتّنقيب في البلاد، علّها تُحدّثُ عما مضى من أخبارها، وما ملكت أيمانها من زهرة الحياة الدنيا، وبهجة أنوارها، أوتُصدِرُ شيئا من أسرارها أرتالا و أشتاتا عن أصحابها، وما اعتلجوه من رُقِيٍّ في الأسباب .....وآثارهم التي تركوها خلفهم شاهدةً عليهم إلى يوم التّناد.

والهند القديمة أيّها السّادة: من أعظم بلاد الله خيراً قديماً وحديثا، فهي تعتزُّ بحضارة أصيلة وعريقة، أنتجها الإنسان الهنديّ الأوّل في أطواره الغابرة، وعصوره الدّابرة، كما أنّها تَزخر وتفخر بفلسفة عميقة، وحِكم عالية رشيقة، وعلوم رياضيّة دقيقة، وثروات وخيرات عظيمة، مما تُنبته الأرض على ظهرها وتكتنزه في جوفها، تَميرُ بها أهلَها بُكرة وأصيلا، يعجز عن إحصائها العادّون، وتحار في استقصائها والإحاطة بها العقول والعيون، وليس جُزافا لو قلنا: إنّ وجودها يَنْدُر في بُقعة غيرها، وكلٌّ من تلك العلوم والفلسفات، والحِكم، والحبوب، و الزّروع، والفواكه، والثّمار، والمعادن، والموادّ الخَامَة التّي تمتلكها الهند لم تكن لتجعلها على تواصل يُذكر مع بقيّة الشّعوب والحضارات الأخرى، بل كانت تعيش لآمادٍ بعيدة في عُزلة عن العالم لأسباب بعضها في متناول الباحثين، وجُلُّها يكتنفه الغموض، ولم تَطمثه بنات أفكار المؤرّخين من قبلُ، ولاطالته يدُ الحَفْريّات والأثريّين من بعدُ، لا في جُددها البيض ولا السّود، وذلك قد يكون لذهول التّاريخ وسَدَنَتِهِ عن أداء ما في الذّمة، أولغياب الوَعْي الكُليّ، وفقدان الإحساس بالمسؤليّة، وإلى ما وراء ذلك من العلل والأسباب التّي بخستها حقّها، ولا تزال عَرَصاتها الممتدّةُ وقِيعانُها الفسيحةُ شَاغرةً منتظرةً من يكشف عنها غطائها، و يُزيل عنها حُجُبَ الخَفاءِ ويُخرجها من بَيداء التّلاشِي وفَيافِي الضّياع إلى حَضيرة أُنسِ التّاريخ البشريّ، لتحتلّ مكانها وتَشْغَلَه بمفاخرها.

أسباب الفصال

من الأسباب المعلومة التّي حالت بين بلاد السّند والهند وبقيّة العالم جُغرافياً

هي سلاسلُ الجبال الشّاهقة، التّي فصلَتها من جانب، والبحارُ المُنسحِبةُ من جانب آخر، فضلا عن بدائيّة وسائل التّنقّل والتّرحال، وما يَنجُم عنها من وعثاء السّفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب، و غبن التّكاليف، وشحّ المُؤن، والعناء المُزهق، حيث التّوَى المتربّصُ في الضّراب والآكام وبطون الأودية ومنابت الشّجر، لكل نسمة تفكر في الترحال، هذا إلى جنب وَعْرة الطّرق المسلوكة وقلّتها، و ما بها من المخاوف، إضافة إلى طولها وبعدها القاصم لظهور الجياد العِتاق المضمّرة، القاطع لأكباد حُمُرِ النّعَم، ونَاهيكَ بعدٌ بهذا مُعَرقِلاً و مانعا عن التّواصل والحوار.

طبيعتها

وعلى كلٍّ فقد انطوت هذه الأمّة العظيمة على نفسها، كاتمةً أمرها عمّن حولها ممّن جاورها من أمم البّر والبحر، وعاشت قروناً مديدةً ودُهورا عديدة في عالم محدودة أقطاره، ضيّقة أنظارُهُ، لا تستورد شيئا من الأفكار والأديان، ولا تستجلب شيئا من النُّظُم والصّنائع والعلوم، تستوهبُ بها لنفسها رَمَقَ الحياة، أو تدفعُ بها عَيْلَتَها، وتُحقّقُ بها كفايتها، إبقاء على هيبتها، وحفظا لوجودها وكرامتها، بل إنّها عبست وتولّت، ثمّ أشاحت وشَحَّتْ، حتّى على أن تُؤثر مَن به خَصاصةٌ ـــ مِمَّن امتهنَ التّكدّيَ واعتادَ الاستجداءَ ـــ من الأمم التّي كانت تُتَخَطَّف مِن حَولِها بشيء ممّا آتاها الله، فظلّت يدُها مغلولةً إلى عُنقها، لا تُصدّرُ خَشيةَ الإملاق والإنفاق، ولا تحاولُ انفتاحا من إغلاق، ولا تَبغي إلى وَرْطتها خروجاً مِن سبيل، فلاهي أخذَتْ بما بين يَديها لِتَنجُوَ وتَسُودَ، ولابما خَلْفها لِتَتَأقلمَ وتتفاعلَ، ولا بما بين ذلك لتضمنَ لأبنائها عيشا كريما رغدا، و مَوردا مُتوازناً غَدَقاً، و مَن يُوق شُحَّ نفسه فقد فاز.

وهكذا ظلّت الهند مُنحازةً في شَعَثٍ من أمرها، تَدُوكُ ليلها ونهارها، أيُّهُما يُفيض عليها من روحه وريحانه ما تُقيم به صلبها، وتَشُدّ به أزرها، خائفةً، تترقّب على شَفَا جُرُفٍ هَارٍ مَن يُخرجها من أجداث غُربتها، ويكشف عنها غطاء وِحْشتها، وهي

الحضارة التّي طالما تَمجّدتْ بفضائل العِتْقِ والقِدَمِ اللّذين فاقت بهما الحضارةَ المصريّةَ التّي وُجدت بُعيدها. وعاشت الهند بمنأى عن الجميع، ولم يَلِجْها مِن إنسان العوالم المُتمدّنة في تلك الأحقاب الغوابر والعصور الدّوابر غير الإسكندر الكبير، على مايُنقل ويُقال، وعلمُ ذلك كُلّهِ عند ربّي في كتاب، لا يَضِلّ ربّي ولا يَنسى.

الحالة الدينية في تلك الفترة لسكان الهندالقديمة

لا يخفى على إنسان يعيش في القرن الواحد والعشرين أنّ فكرةَ العبادة وعقيدةَ التّأليه هي فكرةٌ فطرية مستقرّةٌ في أعماقِ وجدان البشر، تَحثّهم كلّ حين على الإيمان بقوّة خالقة مالكة قاهرة مُعطية، لا تُغلبُ ولا يُعجزها شيء، قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ الروم: الآية (٣٠). وبما أنّه تعالى قال أيضا: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ فاطر: الآية (٢٤). يُرشدها إلى معبودها الحقّ ودينه القويم، نلمسُ من جهة أخرى أيضا أنه قد تقرّر عقلاً ونقلاً أنّ الناس أنفسهم يظلمون، فَبِمُجرّد انقضاء عصر النُّذُر، واندثار العلوم الحقّة، وانقراض حَمَلَتِها، ترى النّاسَ قد جارُوا عن السّبيل غُلوًّا في عُلوّ اكتسابهم، وحافوا قصداً وبغياً، أو تبعاً وتقليداً، و هو الغالب، ومن هنا اختفت عقيدة الإيمان بالغيب، ورَمتْ صُروف الحادثاتِ الإنسانيّةَ بنَبْلِهَا فشَكّتْ فؤادها، وأوهت بصيرتها، ورامتْ يدُ الأقدار إذّاك تَشتيتَ شَمْلِها، فحلّ محلّها عقيدةُ الإيمان بالمشاهدة، التّي تَسبّبتْ في فتح أبواب التّصوّرات والخيالات على مِصراعَيْها، وأصبح الحقّ بسَراب قِيعَة مُتلفِعا، وغدا صَرْحُ الإيمان كطَوْدٍ جَلال بالخُطُوب مُتَصدّعا، فكلٌّ يرسم الإله حسبَ زعمه و تصوّره ساذجا كان أو غيره، وأضحت البلاد والعباد خُلواً من التّوحيد والإيمان، وفرّق منهما الدّهر ما كان مجتمعا، وتركهما من بعد اجتماع وخُلطة خلاء وبَلْقعا.

فالأمّة الهندية من جملة الذّين دَهمَ طوفانُ الشّرك بُنيانَ عقيدتهم من القواعد بياتا، فخرّ عليهم سقفُ ما صنعوا من الرّجز والباطل وهم لا يشعرون، وزُيّنت لنفوسهم

الخطيئةُ بما أترعَتْ آنفا، واستشرَى حُبُّها في الشّغاف بما أسكرت سَلَفا، فأقبلت بشراشرها على عبادة أصنام آلهة، سَوّلتها لهم أنفسهم وسَوّغها لهم الشّيطان، وأغراهم بها بعدأن تطاول عليهم الأمد، وألغي دور العقل في مجال العبادة والدّين كليّا، فلا تسمع له حِسّا ولا ركزا، وكان نسيا منسيا، وضُربت على القلوب أقفالها ،فانتكست ضمائرها وأحوالها، وطُمست أنوار بصائرها فأصبحت غورا، وكثرت المعبودات عندهم كثرة فاحشة توًا و فورا، وتنوّعت بين أصنام من حجارة وخُشُب مُسنّدة، وأوثان من معدن وحيوانات، وشجر ونبات وكواكب وهلمّ جرّا، ولم يقف الأمر عند هذا قَدَما، بل مضى إلى الأمام قُدُما، فحتّى الفروج قد نالت حظّها من العبادة و الألوهيّة في شبه القارة الهنديّة، و تنامت أعداد الآلهة من ثلاثة وثلاثين إلهاً إلى أن بلغت ثلاثمائة وثلاثين مليونا وازدادت وقرا. وهكذا ظلّت الهند مُتقوقِعةً في أحضان الوثنيّة متلبّسةً بعبادتها وتقديسها، إذا مرّوا بها مرّوا خاشعين، وإذا انقلبوا إليها انقلبوا مخبتين، لا هم بها يتغامزون، ولا بحضرتها يفكهون، تراهم في كلّ واد بها يهيمون، ولها ينحتون، و بكلّ رِيع لهم في ابتكارها آية فارهين، مما جعل تلك القارّة العملاقة لا تنفكّ منقمعةً عاكفةً على مالا ينطق ولا يسمع ولا يغني عنها شيئا تمجيداً وتعظيماً، تَتملّقُه معتقدةً فيه الصّمديّة اللاّمتناهية، تحدوها روح التّنافس في اختراع طقوس الدّيانة، وتقاليد العبادة، والتّقرب إلى الآلهة بشكل مُثير للعجب، على أنّ كلّ ذلك لا يَمُتُّ بصلة لأيّ ديانة سماوية معتبرة، ولبثت تلك الأمّة العظيمة مُنهمكة في نَسْج الخُرافات والقصص الخيالية حول أعمال الآلهة وبُطولاتها وأمجادها تحميساً للمتزلّفين إليها أحقابا تواليا، فكانت فريسةَ الشّيطان وصريعةَ الأوهام، و عَمَّ ذلك جميعَ شَرائح المُجتمع الهنديّ من المَلِكِ الكبير إلى الذّي يَدِبُّ على الحصير. و كان ذلك عقب أفول نجم الأديان الحقّة، واندراس العقائد الصّحيحة من واقع الحياة، حتّى كأنْ لم تكن من قبلُ شيئا مذكورا، وتحريفِ الصّحائف والكتب، وتهميشها جملة وتفصيلا، والغُلوّ المُفرِط في الأمور و الأشخاص، حتّى حال بين الحقّ ومُستقَرّه

FOR OVERSEAS READERS

NOW ONLINE SUBSCRIPTION

In order to facilitate our overseas subscribers we are pleased to announce that they can now subscribe the Albalagh International and Albalagh Urdu of Jamia Darul-Uloom Karachi Online and avoid the inconvenience of sending their subscription by postal mail. Please visit the following website, or email at the address given below:

Visit: www.Albalaghbookstore.com
Email: Albalagh.net/bookstore

We will appreciate if you drop a few lines to inform us of your subscription detail.

ALBALAGH *International*
Jamia Darul-Uloom Karachi,
Korangi Industrial Area
Karachi. Post Code 75180, Pakistan